د. محمد شوقي الزين

مناهج فلسفية معاصرة

الحصة الثالثة

التأويلات النقدية

النقد (gr. krinein)

- في الأصل اليوناني، النقد هو **الحكم** (jugement). الحكم هو التمييز والتمييز هو عزل الأشياء عن بعضها لإبراز قيمتها.
- النقد هو إذاً **الغربلة** ليتميَّز الحقيقي عن المزيَّف على مستوى المعرفة (ابستمولوجيا)؛ وليتميَّز الحق عن الباطل على مستوى القيمة (أكسيولوجيا).
- في «لسان العرب»: «النَّقْدُ والتَّنْقَادُ: تَمييزُ الدَّرَاهِمِ وَإِخْرَاج الزَّيْفِ مِنْهَا». انتقل النقد من هذه الدلالة الحقيقية في التمييز بين النقود من الذهب عن النقود المزيَّفة التي تشبهها في الشكل واللون، إلى الدلالة المجازية في التمييز بين الأشياء من أجل الحُكم عليها منطقياً أو أخلاقياً أو معرفياً، إلخ.
- اتَّخذ النقد كذلك مدلول الأزمة (crisis)، التي تعني اللحظة الحرجة وحالة من التفاقم.
- كان هذا دأب الفلسفة الشكية مع سكستوس أمبيريقوس، ومع الفينومينولوجيا عند إدموند هسيرل. ليست الأزمة هنا الحالة الخطيرة والعويصة، لكن اللحظة المتفاقمة التي تساعد على فهم الظواهر في تجلياتها الاستثنائية أو الشاذة.

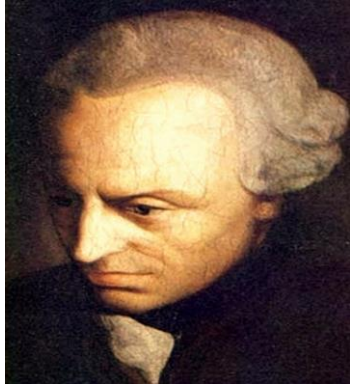

مَحْكَمَة العَقْل

- «النِّدَاءُ الموَجَّه إلى العَقْل كَيْ يَعُودَ فَيَقُوم بأَشَقِّ مُهِماتِهِ جَميعاً، عَنَيْتُ مَعْرفَة الذَّاتِ، وَيُنْشِئ مَحْكَمَة تَضْمَنُ لهُ دَعَاويه المِحقَّة، لكَيْ تُخَلِّصُهُ في المقَابِل مِنْ كُلِّ الادِّعَاءَاتِ غَيْر المؤسَّسَة، لا بقَرَارَاتٍ تَعَسُّفية بَلْ بقَوَانِينَ خَالدَة وَثَابتَة؛ هَذِهِ المحْكَمَة هِيَ نَقْدُ العَقْل المحْض نَفْسَهُ» (كانط، **نقد العقل المحض**، ترجمة موسى وهبه، ص26).
- مُبرّر النقد هو وضع مسافة مع التراث بمجمل نصوصه وخطاباته؛ مسافة تتيح الرؤية الحصيفة وتمحيص هذا التراث في ضوء العقل.
- **المعوِّقات الذاتية للعقل:** الجهل، الحكم المسبق، التقليد.
- **العوائق الخارجية للعقل:** الحسّ، الواقع، التراث.

أشْكَال النَّقد

- **«النقد الفيلولوجي»** الذي يدرس بنية اللغة المستعملة في نصوص التراث.
- **«النقد التاريخي»** بدراسة هذه النصوص في سياقها الزمني والاجتماعي وأشكال التأثير والتأثُّر أو مسألة الاقتباس والغربلة.
- **«النقد الأدبي»** بدراسة قيمة النصوص من حيث الأسلوب والصور البيانية الموظَّفة.
- **«النقد الفني»** بالنظر في الذوق وأشكال التلقي لدى القارئ.
- **«النقد الفلسفي»** مع كانط في امتحان قُدرات العقل على استعمال الحكم في مقاربته للنصوص أو الوقائع.
- **«النقد الأيديولوجي والاجتماعي»** مع ماركس ثم مع النظرية النقدية عند مدرسة فرانكفورت، حيث الغرض هو فضح نظام التسلُّط الكامن في العلاقات الاجتماعية والطبقية.
- **«النقد الراديكالي»** عند نيتشه الذي تتَّخذ «المطرقة» عنده الصورة المجازية المثلى، قبل أن يواصل التفكيك هذه المهمَّة الراديكالية، مع هايدغر أولاً، ثم مع دريداً ثانياً.

الاسْتِنْبَاط وَالاسْتِقْرَاء

- النقد الذي يسعى لأن يجعل الحالات الخاصة تحت المفهوم العام، هو بطبعه نزوع **«استنباطي»** (déductif) أكثر منه نزوعاً **«استقرائياً»** (inductif)، يهدف إلى البحث عن الانسجام الكامن في الموضوعات التي يدرسها أكثر من البحث عن الحقيقة التي تضطلع بها هذه الموضوعات. النقد في هذه الحالة هو مسألة «تمرين صارم» (exercice rigoureux) في تبيان الانسجام المنطقي والضروري للموضوعات المدروسة؛ الاستقراء على العكس، يسعى إلى استخلاص قوانين عامة انطلاقاً من حالات خاصة، ويبتغي في ذلك الحقيقة. الاستنباط **«تحليلي»**، لا يضيف إلى معارفنا شيئاً، لأن القضايا التي يستخلصها متضمَّنة في المقدِّمات، بينما الاستقراء **«تركيبي»** يضيف شيئاً إلى معارفنا؛ لذا فهو أكثر استعمالاً في المعرفة العلمية والتجريبية.

النَّقْدُ وَالتَّأْوِيل

- لا يمكن أخذ النقد والتأويل بوصفهما ظاهرتين متعارضتين. النقد أو المبنى يبتغي التأويل أو المعنى؛ ومن جهة أخرى، كل تأويل هو حامل لرؤية نقدية حول النصوص والظواهر التي يسعى لتأويلها. يمكن الحديث مع دوني ثوار (Denis Thouard) عن **«تأويلية نقدية»** تتعامل مع النصوص والصنائع بوصفها ظواهر إبداعية، أي بصفتها وقائع نقدية جاءت لتضع مسافة أو قطيعة مع السابق.
- كل إبداع هو في جوهره واقعة نقدية، ينفصل عن القديم بإعادة وضعه على محك المراجعة والتقييم. فهو لا ينفصل عنه فقط في المبنى، بأن يعيد صياغته وفق حريَّة يضطلع بها الكاتب ويُبرز بذلك أصالته وحداثة أطروحاته، وإنما ينفصل كذلك في المعنى، بأن يكون له تأويل خاص للمادَّة التراثية التي يشتغل عليها وينفصل عنها.
- يتأرجح الكاتب المبدع بين **«مبنى»** حصل عليه من الموروث ويسعى لتعديله بالحذف منه والإضافة عليه، وبين **«معنى»** يُضفيه على هذا الموروث بأن يؤوِّل قضاياه ويكتشف حقائقه. نُدرك بلا مرية أن النقد لا يتعارض هنا مع التأويل، بل إن النقد هو شكل من أشكال «التأويل».